عـدن جمعت الشمال والجنـوب اقتصادياً لتكتب نهاية التشطير !!

الأرض اليمنية كانت حاضنة لأبنائها ومنقذة لهم من جور حكامها ونافذتهم لعالم يجهلونه من حولهم تلك هي عدن التي حاول الاستعمار والإمامة تحريمها على منهم أحق بها لإدراكهم بأنها ستكون بوابة اليمن نحو المستقبل فكانت الشريان النابض بالخير لجزء من وطن جثا على صدره الجهل والفقر وأغلق أمامه أبواب الحياة، ولكن حلم اليمنيين بغدٍ أفضل كان أقوى من سيوط القهر وقيود الاستعمار فكانت عدن بمينائها هي شعاع الخلاص فكانت بوابة التواصل بين الجهل والتقدم لتكتب بداية الخلاص.

عبدالله الخولاني

عدن الميناء كانت قلب اليمن النابض بجنوبه وشماله ومركزا يحتضن اليمنيين التواقين للحرية وسوقا للتجارة مع العالم فجمعت المال مع المعرفة فهي تستمد أهميتها وحيويتها من خلال مينائها العريق الذي تعود قصته كمركز تجاري عريق إلى أكثر من 3000 سنة.

حيث قام ماركو بولو وابن بطوطة بزيارة مدينة عدن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وفي عام 1800م ليتطور ميناء عدن ويبدأ بتقديم خدمة التزود بالوقود، الفحم والمياه للسفن البخارية لتتوسع الخدمات المقدمة من قبل الميناء وخاصة بعد فتح قناة السويس ليصبح عام 1950م، واجداً من أكثر الموانئ ازدحاماً لتموين السفن بالوقود، ومركزاً للتسوق والتجارة في العالم.

نافذة لشمال الوطن

شمال الوطن الذي كان تحت حكم الأئمة يعيش في العصور الحجرية وكان يجهل معنى الميناء والتجارة بمفهومها الحديث والاستيراد والتصدير ورغم الصعوبات إلا أن عدن كانت نافذة لشمال الوطن على العالم التجاري، فانطلقت بداية النهاية منها من خلال نقل البضائع والمعرفة التي جعلت اليمنيين يثورون على وضع العصور الوسطى.

الولدان محمد وعلي التتار- ذات التسعين عاماً تاجران مخضرمان- يرويان بلغتهما البسيطة بداية نشاطهما التجاري الذي عرفه شمال الوطن من خلال الذهاب إلى عدن عقب اغتيال الإمام يحيى وتولى ابنه أحمد الحكم من بعده فقبل ذلك لم تكن هناك تجارة أو استيراد أو حتى الذهاب إلى عدن نتيجة الانغلاق والعزلة المفروضة من قبل الإمام يحيى نتيجة توتر العلاقة مع البريطانيين المحتلين لجنوب الوطن آنذاك، وكان يتم الاعتماد على المواد الاستهلاكية المنتجة محلية والتي كانت بسيطة ومتواضعة بكل ما تعنيه الكلمة.

ويضيف أن عملية النقل للسلع والبضائع التي يتم شراؤها من عدن إلى صنعاء عبر ناقلات صغيرة بدون أبواب (مواتر) النوع الأول عرف بين التجار باسم (أنجلد) تسمية تعود للعاصمة البريطانية وبعد فترة ظهر النوع الثاني ويسمى (موتر عنتر بمعنى هنتر بالإنجليزية والآخر الدوش)وكلها صناعة إنجليزية وحمولاتها لا تتجاوز 12طنا فيما كان الزمن لعملية السفر من صنعاء إلى عدن تتراوح بين ثلاثة أيام وأسبوع.

ويؤكد الوالدان محمد وعلي التتار-أن السلع التي كان يتم استيرادها عبر عدن عبارة عن (مسقاطة)خردوات ومواد استهلاكية مثل الفوانيس –النوارات – الأتاريك الجزمات –البرموصات – البهارات والعطورات- والحبوب –السكر- الزجاج - حيث كانت تصل البواخر إلى عدن ومن ثم يتم توزيعها على دول المنطقة مثل الخليج ومصر وإيران، فيما كانت الصادرات اليمنية عبارة عن بن–وزبيب ولوز –عدس يتم شراؤها من قبل أشخاص هنود يسمون (بنييان) وهم من يتولون عملية التصدير إلى الخارج، وبالنسبة للعسل والسمن البلدي والبيض والعنب للسكان المحليين في عدن والمشيخات المجاورة وبعد قيام ثورة 26سبتمبر ونتيجة للاضطرابات الحاصلة في جنوب الوطن وشق طريق الحديدة –صنعاء تحولت تجارة شمال الوطن عبر الحديدة وقبل ذلك كانت عدن هي وجهة التجار اليمنيين في شمال الوطن.

فرص متساوية

وتميز ميناء عدن عبر التاريخ عن بقية الموانئ البحرية في المنطقة بمنح الفرص المتساوية لجميع التجار الذين كانوا يقصدونها وعدم التمييز بينهم تحت مسمى الانتماء الجغرافي أو العرقي أو العقيدة، وقد تراكم هذا العرف والسلوك عبر الأجيال المتعاقبة ليصبح من العوامل المساعدة في استمرار نجاح مدينة عدن وميناءها الحر كمركز تجاري اقليمي ودولي في الفترة السابقة.

ويقول وزير الاقتصاد السابق في جنوب الوطن سابقا الدكتور عبدالله عثمان اشتهرت عدن كمنطقة تجارية حرة لتجارة السلع المختلفة الصناعية والاستهلاكية والغذائية لتلبية حاجة ومتطلبات السياح الأجانب وعائلات جنود القاعدة العسكرية البريطانية والأجانب العاملين في عدن بالإضافة إلى المواطنين اليمنيين في الشطرين، وفي عدن كانت تعمل عدد من الشركات الأجنبية والوطنية والخضروات وهذا ساعد على الاحتكاك والتنوير لدى التجار والمواطنين القادمين من الشمال .

استيعاب العمالة

وبما أن النشاط الاقتصاد قد تركز في مدينة عدن فقد تم استيعاب عدد أكبر من العمالة اليمنية من الشطرين والأجنبية وتكونت ونمت الطبقة العاملة اليمنية بجانب نشوء عدد من الأحزاب والمنظمات السياسية والعمالية والتي ساهمت في قيادة النضال الوطني بكل أشكاله من أجل التخلص من الجهل والتخلف في الشمال و الاستقلال في الجنوب وفقا للوزير عثمان ،ويضيف بعد القضاء على الحكم الإمامي وجلاء الاستعمار البريطاني قامت في اليمن حكومتان وطنيتان في كل من الشمال والجنوب فاتخذتا جملة من السياسات والإجراءات الهادفة لتطوير الاقتصاد الوطني وبدأتا تضع وتنفذ الخطط والبرامج في هذا الاتجاه بهدف إعادة اللحمة للوطن الواحد.

إخفاق

وطبقا للدكتور فقد مرت اليمن منذ السنوات الأولى للوحدة بعدد من الصعوبات التي ساهمت في عرقلة تحقيق الطموحات الكبيرة للشعب اليمني في المجال الاقتصادي ومن تلك الصعوبات ما ترتب عن حرب الخليج وعن حرب صيف 1994م وعن بعض السياسات الاقتصادية المتمثلة في تراجع الدولة عن دورها القيادي في المجال الاقتصادي وفتح الأسواق أمام السلع الأجنبية التي أدت إلى منافسة غير متكافئة بالإضافة إلى سوء الإدارة وانتشار الفساد الإداري والمالي وحروب صعدة وتصاعد حركة الاحتجاجات في المحافظات الجنوبية ، تراجع قيمة العملة الوطنية وارتفاع حجم البطالة والفقر ووصول الاقتصاد إلى مرحلة من الركود أدى إلى توقف عدد من المشاريع الجاري تنفيذها وإغلاق بعض المنشآت الصناعية والزراعية المملوكة للدولة وللقطاع الخاص، كما توقفت حركة السياحة الداخلية والخارجية بسبب عدم الاستقرار السياسي والأمني. كما شهدت اليمن خلال العامين الماضيين ثورة الشباب وما صاحبها من توترات ومواجهات سياسية وعسكرية كل تلك الصعوبات قد ترتب عنها شبه توقف كامل لعملية التنمية الاقتصادية وهو ما تسعى حكومة الوفاق الوطني إلى معالجته خلال الفترة الانتقالية المحدودة.

محاولات للنهوض بميناء عدن

ومنذ إعادة اللحمة للوطن اليمني عملت الحكومة على تطوير ميناء عدن وأن لم يكن عند مستوى الطموح والأهمية التاريخية لميناء عدن حيث تسعى الحكومة في المرحلة المقبلة لإقامة مشاريع تتضمن إنشاء قرية شحن جوي في مطار عدن الدولي على مساحة ٦٠ هكتارا، ومشروع تطوير المطار، ومشروع منتجع سياحي بطول ١١ كيلومتراً في الساحل وبمساحة إجمالية تصل إلى ١٤٥ هكتاراً وفنادق وشاليهات ومراكز للترفيه.

ومن الميزات التنافسية لميناء عدن أيضا وقوعه على خط الملاحة الرئيسي العالمي ، حيث أن البواخر تأتي من طوكيو إلى شنغهاي، إلى هونج كونج ، ثم إلى كولومبو في سريلانكا ثم عدن، فقناة السويس ثم مالطا وأخيراً أوروبا كلها، وهو ما يعكس أهمية وقوع عدن في خط الملاحة الرئيسي العالمي، وبالنظر إلى عدد السفن الواصلة بمعدل ٥٠ سفينة يوميا، فميناء عدن لا يبعد سوى أربعة أميال بحرية فقط عن الطريق البحري الرئيسي فضلا عن الميزات المناخية التي تسمح له بالعمل محميا طوال أيام السنة، كما تتمتع عدن بميزات تنافسية فريدة، من حيث الإمكانات الطبيعية والموقع الجغرافي الطبيعي المتميز الذي يتوسط الشرق والغرب والميناء المتاخم لخط الملاحة الدولي وقنوات طبيعية سهلة التعميق والميناء محمي طبيعياً ،إضافة إلى أن السفن محمية من الرياح والتيارات المائية وموقع المطار المتميز بالقرب من الميناء يجعل مدينة عدن ذات موقع فريد للشحن البحري والجوي ومحور تخزين و توزيع متميز لأفريقيا والبحر الأحمر، كما أن عدن تاريخيا هي ثاني ميناء في العالم ،وكانت يوما ما منطقة حرة، وهو ما جعل اليمنيين ينظرون إليها كحلم ،في سعيهم العودة بها إلى دورها التاريخي.

ميزة فريدة

وعن ميزة العلاقة القوية بين الشحن الجوي والبحري، التي يوفرها ميناء عدن بموقعه المتوسط للكثير من المناطق المجاورة -بحسب الدراسات التي أعدها الجهاز التنفيذي للهيئة العامة للمشروعات الصناعية والتعدينية بجمهورية مصر العربية - سهلت من استخدام الشحن الجوي بمجرد وصول البضائع كمجال أسرع للنقل في الدول التي لا يوجد لديها موانئ بحرية ,كما أن تكاليف الخدمات والنقل الرخيصة في المنطقة الحرة تستطيع من خلالها السفن المتجهة إلى أوروبا توفير ما لا يقل عن ثلاثة إلى أربعة ملايين دولار سنويا.. وقالت" لذلك يبدو صحيحا القول مع كل هذه الميزات التنافسية التي يمنحها موقع عدن للمنطقة الحرة ، أنه لو وجدت بين كل منطقة حرة ومنطقة حرة ، منطقة حرة فلن تستطيع منافسة ميناء عدن".ووفقا للدراسات ففيما تتنافس الشركات العالمية على مشروع منطقة الصناعات الثقيلة والبتروكيماوية بمساحة ١٤٠٠ هكتار، خصصت هيئة المناطق الحرة مساحة ٢٧٧٠ هكتاراً لإقامة ميناء خاص بالخامات والبضائع، في حين حددت مساحة تبلغ نحو ٩٢ هكتاراً لإقامة المركز التجاري الدولي الذي يشمل إنشاء معرض دولي ومراكز إدارية وتجارية، إضافة إلى ملحق لتوسيع الطاقة التخزينية الخاصة وأسواقها المتعددة..

صنعاء تشكو ظلم الساسة.. وتـدافـع عـن وحـدويـتـها !!

محمد من عدن وعبدالله من حضرموت وصالح من تعز وسمير من شبوة وخليل من صعدة يمنيون وحدتهم هويتهم قبل ساساتهم وبسنوات كثيرة سبقت قرارات إعادة لم الشمل في تسعينيات القرن الماضي فتجمعوا في صنعاء الأم الحنونة لكل اليمنيين وغيرهم المئات والآلاف توزعوا على معظم أحيائها غير مدركين أنهم يشكلون لوحة فنية بديعة الجمال ربما عجز رسام الموناليزا دافينشي الإيطالي عن تجسيدها في إحدى لوحاته التي أذهلت العالم وعجز عن تفسيرها، فلماذا يحاول البعض اليوم تشويه ما نسجناه بعقولنا وقلوبنا قبل أنانيتهم ومصالحهم وسياستهم التي بعدنا بمحض إرادتنا عنها لنتجنب مكرها وخداعها وشرها ولكنهم اليوم يتصارعون باسمنا ويتباكون علينا لكن صبراً جميلاً سحابة صيف ستزول وسنمقتهم كما فعلنا والتاريخ لا يرحم.

عبدالله الخولاني

الكتابة عن أخوة جمعتهم الهوية وسكنوا وتجاوروا وتعارفوا وتصاهروا بعيداً عن متاهات السياسة ومخالبها التي لا ترحم، فكم من أناس نسوا قراهم وعزلهم، فاليمن وطنهم وفي صنعاء حطوا رحالهم قبل عشرات السنين غير آبهين بساسة لا يفقهوا إلا فن بيع الكلام والأحلام الوردية فسكنوا صنعاء منذ ثمانينيات القرن الماضي بكبرياء وعزة تحاكي اليمني الأصيل الرافض للظلم والمحارب المقدام من أجل الحق ضاربا بمخلفات الاستعمار والحكم الشمولي وراء ظهره ليقول لساسته كل اليمن موطني فماذا أنتم فاعلون .. فهل تدركون ما نقول وتشدوا رحالكم مع من تتصارعون باسمه وإلا سينبذكم التاريخ.

مولدي

بيت العدني كما تعارف عليها سكان حي الصيانة عندما سكن أحد إخوانهم وأسرته القادم من محافظة عدن مستأجراً بداية الثمانينيات من القرن الماضي ليقابلونه بالترحاب والسعادة، وقائع ليست من الخيال بل حقائق نقلناها كما جاءت على لسان الحاج عبدالغفور اللهيني أو (العدني) اسم الشهرة الذي عرفه الناس به.

ويضيف جئت إلى صنعاء من عدن لأسباب -لا أحب ذكرها لمرارتها- ولكن الأهم كما يقول هو انتقاله من عدن إلى صنعاء وكيف استقر به الحال الذي كان مغايراً لمخيلته التي كانت مليئة بالمخاوف من المجهول ومن مجتمع هو دخيل عليه، لكن الأيام القليلة أثبت له العكس وأن الخُلُق الحميد والكرم هما صفات اليمنيين أينما ذهبوا، فكانت صنعاء هي الحضن الدافئ الذي لم يفارقه إلى اليوم بل وحتى الممات.

أبنائي مواليد صنعاء

ولد عماد وصقر وإيهام ومعمر في صنعاء وترعرعوا في كنفها وتعلموا وشاغبوا، كما يقول الحاج عبدالغفور العدني، وتزوجوا من جيرانهم، ويضيف: حتى بعد أن فتح الله علينا وودعنا منازل الإيجار لم يستطع أولادي ترك حارتهم إلا بصعوبة ومع ذلك فهم يزورونها بين الفينة والأخرى كما يتبادلون الزيارات مع أصدقائهم.

تجاوز الساسة

بعد تحقيق الوحدة السياسية للبلد في عام 1990م الآلاف من الأسر من مختلف المحافظات انتقلت بحثاً عن لقمة العيش فحدثت هجرة بمئات الآلاف بين المدن وكانت العاصمة صنعاء وجهة لكل اليمنيين فحدث الاندماج والتأقلم بين الناس بصورة سريعة وسلسة، فاليمنيون موحدون فكراً وثقافة وعادات وتقاليد لم يفرّقهم إلا من حكمهم من خارج بلدهم .

إذا حصل شرخ بين النفوس فهو ناتج عن أخطاء الساسة الذين أدمنوا لعبة خلط الأوراق واللعب في النار، لكن كانت العشرة والوحدة أقوى من أسلحة الساسة التي استخدمت لضرب الأخوة كما يرى زهير بن مخاشن – أحد مواطني محافظة حضرموت- الذي لم يترك صنعاء حتى عندما اختلف فرقاء السياسة، فالعشرة والمحبة بين اليمنيين أقوى من مكر وحقد السياسيين والكلام متروك لمخاشن. ويضيف صنعاء تشكل لوحة حقيقية للوحدة الوطنية تعجز الكلمات عن التعبير عنها.

اليمن في حارة

من مميزات اليمنيين أنهم يتعايشون فيما بينهم ببساطة قلما توجد في مجتمع آخر وهي ليست مبالغة، فزيارة أحياء حدة أو الستين وحتى سعوان شاهد حي لذلك فصاحب إب وصنعاء وعمران والبيضاء وعدن وحضرموت والضالع وأبين يشكلون النواة لهذه الأحياء متعايشين متحابين محصنين من مرض السياسة وحقد الساسة الذي لو انتقل للمواطن لأحرق الأخضر واليابس وفقا لسعيد شوطح الذي يرفض دغدغة العواطف للمواطن البسيط من أجل الكسب السياسي، ويؤكد الساسة هم سبب بلاء اليمن كونهم يجرون وراء مصالحهم مستغلين حاجة وفقر الناس وضعف الدولة لينفثوا سمومهم، ومع ذلك لازلنا في خير ويمكن تدارك السفينة قبل الغرق، ويضيف: لوكان كلام السياسيين هو لسان المواطن البسيط لكان الحال أسوأ وكان الناس يتناحرون فيما بينهم وعاد كل شخص إلى محافظته، لكن الحال تغير وأصبحت مصالح الناس متشابكة مع بعضها يصعب على أي سياسي إلغاءها بجرة قلم أو خطاب عاطفي ولو كان غير ذلك لما كان الحضرمي والعدني والصنعاني والتعزي متعايشين مع بعض غير آبهين بما تطبخ له السياسة.

الواقع غلب السياسة

الواقع غلب السياسة ورفضها إذا لم تكن معبرة عنه حسب ما يراه أستاذ علم الاجتماع الدكتور محمد الشرجبي الذي وضع تساؤلا مفاده هل يستطيع ساسة اليوم إصدار فرمان يلزم الناس البسطاء بفك الارتباط مع بعضهم وتصفية مصالحهم وترك زوجاتهم التي من غير محافظاتهم وبيع ممتلكاتهم طبعاً سيكون فرمان صادر عم من فقد عقله وبالتالي ليس عليه حرج تلك خلاصة مختصرة لما وصل إليه المواطن اليمني الذي تجاوز القبيلة والمحافظة والمديرية والعزلة، فصنعاء العاصمة دليل حي لا يقبل التشكيك والمكابرة من أجل مصالح شخصية.

عبر التاريخ

أخيراً يمكن القول إن المواطن اليمن موحد عبر التاريخ وساسته في الماضي والحاضر هم سبب نكساته ونكباته التي تعرض لها، فهل يدركون أن الناس شبوا عن الطوق وباتوا مدركين لمصالحهم بعيداً عن مزايداتهم وتكسبهم بأحلامهم وطموحاتهم والعبر في التاريخ ..فهل نستفيد؟

بالحوار الوطني يقف اليمانيون على موعد مع عقد اجتماعي جديد.

عبدربه منصور هادي
رئيس الجمهورية